مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٤)، العدد (١)، ص ص ٢٢٩-٢٨٢، (يناير ٢٠١١م/محرم ١٤٣٢هـ)

سـورة الكوثـر
دراسـة تحليليـة – موضوعية

محمد أحمد عبد العزيز الجمل
الأستاذ المساعد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك

(قدم للنشر في ٢٢/١١/١٤٣١هـ؛ وقبل للنشر في ٢/٤/١٤٣٢هـ)

ملخص البحث. سورة الكوثر أقصر سورة في كتاب الله تعالى، ولما كان الله تعالى تحدى العالمين بالإتيان بمثل سورة منه ولو بمثل أقصرها، فقد انبرى بعض العلماء لدراسة هذه السورة قاصدين بيان أسرار الإعجاز فيها كالإمام الزمخشري.

ويأتي هذا البحث ليقدم دراسة شاملة لهذه السورة العظيمة، مركزاً على الجانب التحليلي لألفاظها ومبانيها ومعانيها ونظمها وتركيبها لتكون دراسة تطبيقية متوخية إظهار الإعجاز البياني بأجلى صوره، في القرآن الكريم بأقصر سوره، وتكون مرجعاً للدارسين في إعطاء نموذج تطبيقي متكامل لنمط التفسير التحليلي.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم على رسوله العظيم ﷺ كتاباً ساطعاً تبيانه، ناصعاً بيانه، قاطعاً برهانه، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان.

لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، والصلاة والسلام على أفصح الخلق، لسان الحق، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد وقع اختياري على (سورة الكوثر)؛ لما لهذه السورة من أثر كبير في نفسي هي وأواخر سورة التوبة، لما يتضمنان من ثناء عظيم على رسول الله ﷺ وبيانٍ لمنزلته ورفعة شأنه عند الله، في مقابلة أولئك الذين حاولوا النيل منه ﷺ ويحاولون إلى يومنا هذا، من أصحاب الحركات الباطنية، الذين كانوا يكرهون هذه الآيات ويودون حذفها من المصحف، أو أولئك الذين فسروها بما يخدم أغراضهم ويتفق مع معتقدات نحلتهم. ونحن اليوم أشد ما نكون حاجة لتناول النصوص القرآنية المتحدثة عن مكانة النبي ﷺ ورفعة شأنه وعلو منزلته خاصة وأن الساحة الان تشهد كثيرا من الإساءات للنبي ﷺ في نفسه وعرضه.

وأكثر من تعرض لتفسير هذه السورة الشيعة فأفردوها بالتأليف والكتابة وخصّوها بمحاضراتهم وندواتهم ومجالسهم العلمية ذلك لأنهم يحصرون معنى الكوثر بفاطمة الزهراء – رضي الله عنها – . ويبنون على ذلك حصرهم آل البيت في ذرية فاطمة وعلي – رضي الله عنهما – وينكرون أن بنات النبي ﷺ الأخريات بنات صلبيات له ويقولون: هن ربائب النبي ﷺ وبنات خديجة – رضي الله عنها – من أزواجها السابقين. وممن أفردها منهم بالتفسير: عبد الحميد المهاجر وجعفر مرتضى العامري.

أما من أهل السنة فقد تعرض لتفسيرها جماعات المفسرين في تفاسيرهم ومعظمهم لم يفردها بتأليف خاص. وقلة قليلة هم من اعتنى بها وأفردها بالتأليف، منهم :

١- الزمخشري في كتابه (إعجاز سورة الكوثر) وهو بحث مختصر جدا عبارته جزلة محكمة تحتاج الى مزيد شرح وبيان ولذا فقد جعلت اللطائف والنكات وأسرار التعبير القرآني التي أشار اليها الزمخشري منطلقا في معظم التحليلات البيانية والتفسيرية التي تناولتها ، وأضفت لها كثيرا من القضايا التي ذكرها العلماء والمفسرون .

ومن هذه الكتب كذلك :

٢- تفسير سورة الكوثر - ابن البناء المراكشي.

٣- تفسير سورة الكوثر - د. شحادة العمري .

٤- من فيض سورة الكوثر - عبد المجيد حامد صبح .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة :

الفصل الأول: مقدمات حول السورة الكريمة ومداخل لها ، وفيه ثمانية مباحث ، هي :

المبحث الأول : جو السورة وبين يديها .

المبحث الثاني : أسماء السورة.

المبحث الثالث : عدد آيات السورة.

المبحث الرابع : سبب نزول السورة.

المبحث الخامس : مكية السورة ومدنيتها وتاريخ نزولها.

المبحث السادس : فضل سورة الكوثر وما جاء في وصف النهر.

المبحث السابع : مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المبحث الثامن : القراءات المتواترة في السورة وتوجيهها.

الفصل الثاني: التفسير التحليلي للسورة، وفيه أيضاً عدد من المباحث، هي:

تمهيد: سورة الكوثر ودلالتها على الإعجاز

التفسير التحليلي:

تمهيد

المبحث الأول: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾

المبحث الثاني: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾

المبحث الثالث: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾

وقد وجدت عند المفسرين كثيرا من القضايا والمعلومات حول السورة، اخترت منها أدقها – في نظري – وعزفت عما فيه عموميات وما وجدته بعيداً عن الدقة، أما ما كان مهما من الموضوعات، فحاولت تحقيقه والوصول إلى نتيجة فيه ما وسعتني المحاولة، مركزا على الأسرار والنكات واللطائف التي تبرز دقة الإعجاز. كما قمت بالترجمة للأعلام غير المشتهرين في حاشية الصفحات التي ورد ذكرهم فيها، وليس من منهجي الترجمة لكل من ورد ذكره في صفحات البحث.

أسأل الله أن يجعل من هذا الجهد سبباً ينجيني، ونوراً على الصراط يسعى بين يدي وبيميني، ولوالديّ وأساتذتي وتلاميذي ومن لهم علي فضل، ونعم المسؤول.

الفصل الأول: مدخل إلى السورة الكريمة

المبحث الأول: جو السورة وبين يديها

كان المستهزئون من قريش كالعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأبي لهب وأمثالهم إذا رأوا أبناء النبي ﷺ يموتون يقولون: بتر محمد؛ أي لم يبق له ذكر في أولاده من بعده، ويعدون ذلك عيباً يلمزونه به وينفرون به الناس من اتّباعه، وكانوا إذا رأوا

ضعف المسلمين وفقرهم وقلتهم، يستخفون بهم ويهونون أمرهم، ويعدون ذلك مغمزاً في الدين، ويأخذون القلة والضعف دليلاً على أن الدين ليس بحق، ولو كان حقاً لنشأ مع الغنى والقوة، شأن السفهاء مع الحق في كل زمان أو مكان غلب فيه الجهل، وكان المنافقون إذا رأوا ما فيه المؤمنون من الشدة والبأساء، يُمنّون أنفسهم بغلبة إخوانهم القدماء من الجاحدين، وينتظرون السوء بالمسلمين لقلة عددهم وخلو أيديهم من المال، وكان الضعفاء من حديثي العهد بالإسلام من المؤمنين، تمر بنفوسهم خواطر السوء عندما تشتد عليهم حلقات الضيق، فأراد الله سبحانه أن يمحّص من نفوس هؤلاء ويبكت الآخرين، فأكّد الخبر لنبيه أن ما يخاله النظر القصير قليلاً هو الكثير البالغ الغاية في الكثرة، ليؤكد له الوعد بأنه هو الفائز، وأن متبعه هو الظاهر، وأن عدوه هو الخائب الأبتر الذي يمحى ذكره، ويعفى أثره، فقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[1].

فهذه السورة الكريمة على قصرها تتناول قضية خطيرة في حياة البشر وهي قضية الصراع بين منهجين متباينين؛ منهج الخير والهدى وأتباعه، ومنهج الشر والضلال وأتباعه، إنه الصراع بين الحق والباطل، الحق الذي مثّله النبي ﷺ ومن آمن معه بالدعوة الجديدة والدين الجديد، وما يشتمل عليه من الوحي والتأييد الإلهي، وبين الباطل المتمثل بقوى الكفر وما تتسلح به من قوة مادية وكيد معنوي، ومنه ما كانوا

---

(١) عبده، محمد، تفسير جزء عم، ص١٩٠، دار ابن زيدون، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. وينظر أسباب النزول للواحدي، ص٣٠٦- ٣٠٧، (سورة الكوثر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٠. ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص ٢٣٥، دار إحياء العلوم، بيروت.

يشيعونه على قائد هذا الدين الجديد من شتى الشائعات الخُلُقية في أهل بيته، أو الخِلقية في نفسه وذريته، مما يتوقعون منه أن يفت في عضد النبي ﷺ وأتباعه.

ومن هنا تأتي هذه السورة الكريمة سورة خاصة لرسول الله ﷺ كأختيها سورة الضحى وسورة الشرح، تسرية له ﷺ، ووعدا له بالخير والعطاء والتمكين، ولأعدائه بالبتر والبوار والوبال، وفي طياتها تحمل البشرى للمسلمين أن الله تعالى محب لأوليائه، مبغض لأعدائهم أعدائه، وأن مستقبل الهدى والخير والإيمان كثرة وفيض وامتداد، ومصير الضلال والشر والكفران قلة وانحسار وانبتار[٢].

وتختم السورة الكريمة ببيانٍ خالد جرى مجرى القانون والسنة الثابتة، والحكمة والمثل السائر: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، "إنه الخزي والانقطاع من كل خير في الدنيا والآخرة، بينما ذِكْرُ الرسول ﷺ مرفوع على المنائر والمنابر، واسمه الشريف على كل لسان، خالد إلى آخر الدهر والزمان[٣].

المبحث الثاني: أسماء السورة

تسمى هذه السورة سورة الكوثر، وسورة النحر، ولم أجد لها من الأسماء غير ذلك.[٤].

---

(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٩٨٧، بتصرف. دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٣، ص ٦١٠، دار القرآن الكريم، بيروت، ط ٤، ١٩٨١م.

(٤) ا البقاعي، نظم الدرر، ج٨، ص ٥٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م. الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد ١٥، ج ٣، ص ٣١٢، دار الفكر، دط، ١٤٠٨ھ-١٩٨٧م. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٥٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

قال الإمام البقاعي: مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون، واسمها الكوثر واضح في ذلك، وكذا النحر، لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب[٥].

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير:

سميت هذه السورة في جميع المصاحف التي رأيناها، وفي جميع التفاسير أيضاً "سورة الكوثر" وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من جامعه، وعنونها البخاري في صحيحه سورة "إنا أعطيناك الكوثر" ولم يعدها في الإتقان مع السور التي لها أكثر من اسم[٦].

المبحث الثالث: عدد آيات السورة

قال أبو عمرو الداني: "مكية وقد ذكر نظيرتها في جميع العدد وكلمها عشر كلمات وحروفها اثنان وأربعون حرفا وهي ثلاث آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف ورؤوس الآي (الكوثر، وانحر، الأبتر)[٧]

قال الآلوسي: "وآيها ثلاث بلا خلاف، وليس في القرآن كما أخرج البيهقي عن ابن شبرمة سورة آيها أقل من ذلك، بل صرّحوا بأنها أقصر سورة في القرآن"[٨].

---

(٥) البقاعي، نظم الدرر، ج٨، ص ٥٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٥٤٧. وينظر: الإتقان للسيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، ج١، ص١٤٨-١٥٦، دار الفكر، لبنان. ط١، ١٩٩٦م.

(٧) الداني، أبو عمرو، البيان في عَدِّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ص٢٩٢، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٨) الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد ١٥، ج ٣، ص ٣١٢.

وقال ابن عاشور: وعدد آيها ثلاث بالاتفاق، وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف، وأما في عدد الآيات فسورة العصر وسورة النصر مثلها، ولكن كلماتها أكثر[٩].

وعدد كلماتها عشر كلمات، وعدد حروفها اثنان وأربعون حرفا[١٠]. قلت هذا بحسب رسم المصحف، أما بحسب اللفظ فهي ثلاثة وأربعون حرفا، هذا عدا البسملة.

المبحث الرابع: سبب نزول السورة

قال الواحدي: " قال ابن عباس: نزلت في العاص[١١]، وذلك أنه رأى النبي ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم[١٢]، وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر؛ يعني النبي – صلوات الله وسلامه عليه – وكان قد توفي قبل ذلك

---

(٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٢، ص ٥٧٢ .

(١٠) الخازن، علاء الدين علي بن محمد، تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، ج٦، ص٥٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٥ .

(١١) العاص (أو العاصي) بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش: أحد الحكام في الجاهلية. وأدرك الاسلام، وظل على الشرك. ويعد من (المستهزئين) ومن (الزنادقة) الذين ماتوا كفارا وثنيين. وهو والد (عمرو بن العاص)= =الصحابي فاتح مصر،هلك نحو (٣ ق.ه) (الزركلي ، الأعلام ، ج٣،ص٢٤٧، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٩، ١٩٩٠م).

(١٢) أحد بطون قريش ، وبنو قريش قسمان : (قريش البطاح) : وهم ولد قصي بن كلاب ، وبنو كعب بن لؤي ، (قريش الظواهر): وهم من سواهم. وقد تفرع عن هذين القسمين بطون كثيرة منها : بنو سهم بن عمرو ، وبنو = مخزوم ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو عبد الدار ، وبنو المطلب، وبنو هاشم وغيرهم . (الزركلي ، الأعلام ، ج٥،ص١٩٥، دار العلم للملايين،بيروت، ط٩، ١٩٩٠م).

عبد الله بن رسول الله ﷺ وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

- أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثني يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ إلى آخر السورة.

- وقال عطاء عن ابن عباس: كان العاص بن وائل يمر بمحمد ﷺ ويقول: إني لأشنؤك وإنك لأبتر من الرجال. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ من خير الدنيا والآخرة "[١٣].

هذا ما ذكره الواحدي في أسباب النزول وجماعة من المفسرين وإن كنا سنناقش هذه الروايات عند مبحث مكية السورة ومدنيتها بما يقتضي عدم قبولها[١٤].

والذي أراه في سبب النزول هو ما أخرجه الإمام مسلم وأحمد وأبو داوود والنسائي والبيهقي عن أنس بن مالك رحمهم الله تعالى. قال الإمام مسلم **حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا عَلِىُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْمُخْتَارِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ**

---

(١٣) الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٠٦.

(١٤) لقد ذكر الدكتور نادي بن محمود الأزهري في كتابة القيم (الدخيل من أسباب التنزيل) كل هذه الروايات التي ذكرها الواحدي وروايات غيرها، ودرسها دراسة نقدية حديثية من حيث صحتها، وحكم عليها جميعاً بالضعف أو الوضع ولم تسلم منها رواية واحدة من حيث سندها من أن تكون دخيلة، ولولا الإطالة لأثبت ذلك، ولكنني اكتفي بهذه الإشارة وأحيل إلى الكتاب المذكور. ينظر: (الدخيل من أسباب التنزيل، ص٣٩٣-٣٩٦، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٩٩٩م).

أغفَى إغفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أضحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أُنزِلَتْ عَلَىَّ آنِفًا سُورَةٌ ». فَقَرَأَ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ ثُمَّ قَالَ « أتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ». فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِى. فَيَقُولُ مَا تَدْرِى مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ ». [١٥] ، وذكرت بعض الروايات _ سنذكرها فيما بعد – أن ذلك حدث بعد صلح الحديبية وبعد سورة الفتح ، إكراماً للرسول ﷺ بعد المعاناة في الحديبية وسيأتي مزيد حديث عن هذا في المبحث التالي (مكية السورة ومدنيتها) إن شاء الله تعالى.

المبحث الخامس: مكية السورة ومدنيتها وتاريخ نزولها

لم يختلف العلماء في مكية سورة ومدنيتها اختلافهم في سورة الكوثر ، فلقد تعارضت الأقوال والآثار في ذلك تعارضاً شديداً ، مما يدعو إلى ضرورة تحقيق هذه المسألة.

---

(١٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة رقم ٥، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة رقم ١٤، رقم الحديث ٩٢١، ج٢، ص١٢، دار الجيل، بيروت ودار الآفاق الجديدة، بيروت. وينظر: السنن الكبرى للنسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم رقم ٣٨١، رقم الحديث ٩٧٩، ج٢، ص١٣٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، وقال الألباني: صحيح (ينظر طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٩٨٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ومذيلة بأحكام الألباني عليها. وهو مخرج أيضا في سنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد وسنن البيهقي الكبرى، ومسند أبي يعلى، ومصنف ابن أبي شيبة..

المطلب الأول: القائلون بمكيتها وأدلتهم

ذهب الجمهور إلى القول بمكيتها[١٦] واقتصر عليه أكثر المفسرين، وقد روي هذا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي، ونقل الخفاجي عن كتاب النشر قال: أَجْمَعَ من نعرفه على أنها مكية، قال الخفاجي[١٧]: وفيه نظر مع وجود الاختلاف فيها[١٨].

أدلتهم:

١- أنها نزلت في العاصي بن وائل، أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ وذهب بعضهم إلى أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، وقال بعضهم في أبي جهل، وأكثرهم على أنها في العاصي بن وائل.

٢- أن مقتضى ما يروى في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، أن تكون مكية، فقد وقفوا عند كلمة ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ وفسروها بأنه الذي لا عقب له، وأولاد النبي ﷺ توفاهم الله في مكة.

المطلب الثاني: القائلون بمدنيتها وأدلتهم

عن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة هي مدنية[١٩].

أدلتهم:

١- يشهد لهم ما أخرجه الإمام مسلم وأحمد وأبو داوود والنسائي والبيهقي – رحمهم الله تعالى- وقد ذكرت الرواية كاملة في المبحث السابق (سبب النزول)

---

(١٦) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٨، ص ٥٢٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

(١٧) ينظر: الخفاجي، حاشيةُ الشِّهابِ على تفْسيرِ البَيضَاوي (عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي)، ج٨، ص٤٠٢، دار صادر، بيروت.

(١٨) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٢، ص ٥٧١.

(١٩) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج١٥، ص ٤٧٨، دار الفكر.

- عن أنس بن مالك "بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه **مُتَبَسِّماً فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟قَالَ** : أنزلت عليَّ آنفاً سورة ، فقرأ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾" الحديث[٢٠]. وأنس أسلم في صدر الهجرة فإذا كان لفظ "آنفاً" في كلام النبي ﷺ مستعملاً في ظاهر معناه وهو الزمن القريب، فالسورة نزلت منذ وقت قريب من حصول تلك الرؤيا[٢١].

٢- مقتضى ظاهر تفسير قوله تعالى (وانحر) من أن النحر في الحج أو يوم الأضحى أن تكون السورة مدنية.

٣- أصحاب هذا الرأي يقولون إنها نزلت في الحديبية، وذكروا في ذلك روايات منها، ما أخرجه الإمام الطبري عن سعيد بن جبير أنه قال "كانت هذه الآية يعني قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ يوم الحديبية، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: انحر وارجع فقام رسول الله ﷺ فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين ثم انصرف إلى البدن فنحرها ؛ فذلك حين يقول ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾"[٢٢].

المطلب الثالث: المناقشة والترجيح

الذي يترجح لدي أن السورة مدنية، وقد ذهب إلى هذا بالإضافة إلى من ذكرناهم الامام النووي والحافظ ابن حجر والسيوطي[٢٣] وابن عاشور وغيرهم. قال

---

(٢٠) سبق تخريج الحديث.

(٢١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٢، ص ٥٧١.

(٢٢) الطبري، تفسير الطبري، ج١٢، ص ٧٢٣- ٧٢٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

(٢٣) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،ص٢٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ابن حجر(وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أن سورة الكوثر مدنية فهو المعتمد)[٢٤] وقد سبق أن أشرت إلى ضعف الروايات التي يستفاد منها أن السورة مكية، بينما رواية أنس صحيحة وهي عند الإمام مسلم وغيره.

وقد ناقش الدكتور فضل عباس هذه القضية في كتابه (إتقان البرهان)[٢٥]، وقال إنه كان يرى مكية هذه السورة ثم ظهر له من بعد التمحيص أنها مدنية، وناقش القائلين بمكيتها بما يلي، قال:

" ونظن أن القائلين بمكيتها وقفوا عند كلمة الأبتر، وفسروه بأنه الذي لا عقب له، ونسجت حول هذا التفسير هذه الروايات، ولنا على هذه الروايات أكثر من مأخذ:

أولاً: القول بمكيتها روي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، أما ابن عباس – رضي الله عنهما- فلا نملك ما يصحح الرواية عنه، وأما الكلبي ومقاتل فأمرهما معروف عند أهل العلم، وهذه الروايات أخرجها ابن سعد وابن عساكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما أخرجها ابن جرير[٢٦] وابن أبي حاتم[٢٧] عن شمر بن عطية.

---

(٢٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٩، ص٤١، دار المعرفة، بيروت.

(٢٥) ينظر: د. فضل عباس، إتقان البرهان، ج١، ص ٤٠٢، وما بعدها بتصرف وإضافات ط١، ١٩٩٧، دار الفرقان، عمان.

(٢٦) ينظر: ابن جرير، جامع البيان، سورة الكوثر، ج٢٤، ص٦٥٧، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

(٢٧) ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج١٠، ص٣٤٧٠، تحقيق: أسعد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

ثانياً: فإن ذهاب قتادة ومجاهد إلى القول بمدنيتها يجعلنا نشك كثيراً فيما روي من مكيتها عن ابن عباس ، لأنهما من خاصة تلاميذه رضي الله عنهم.

ثالثاً: اختلاف الروايات فيمن نزلت فيهم السورة وعدم الاتفاق على تحديد شخص معين نزلت فيه يجعلنا لا نثق بهذه الروايات ، فبينما ذهبت بعض الروايات إلى أنها نزلت في العاصي بن وائل نجد أخرى تقول إنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وثالثة إنهّا نزلت في أبي جهل.

رابعاً: إن سيدنا رسول الله ﷺ ، حينما اشتد الصراع بينه وبين أولئك الكافرين ، كان في الأربعينات من عمره الشريف ، وهو عمر لا يحكم على الإنسان فيه بأنه لا عقب له ، فمن الممكن أن يولد للإنسان في الأربعينات والخمسينات والستينات ، والمولود قد يكون ذكراً أو أنثى ، فكيف استطاع أولئك أن يحكموا عليه ﷺ بأنه لا عقب له.

خامساً: إن الأبتر في اللغة مأخوذ من البتر وهو القطع[٢٨] ، وقد قالوا إن الأبتر الذي لا خير فيه ، ونظن أن هذا التفسير للأبتر ، هو الذي يتفق مع السياق والمنطق ، وليس كذلك التفسير الأول ؛ لأنه لا يعقل أن يصدر من عاقل ، ثم إن الله تبارك وتعالى سيكذب هذا القائل ويخزيه.

سادساً: إن تفسير الأبتر بما فسروه من أنه الذي لا عقب له ، يثير الشبهات حول القرآن الكريم - وحاشاه - فلقد ذهب أكثرهم إلى أن المقصود به العاصي بن وائل ، وعلى هذا فالله يقول: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ فقد جاءت الآية بأسلوب القصر والتأكيد ، ومعنى الآية أن العاصي أو أبو جهل أو عقبة لن يكون لكل

---

(٢٨) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (بتر) ، ج٢، ص ١٤، دار الفكر ودار صادر- بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

منهم عقب ألبته، والأمر غير صحيح، فلقد قال الواقع والتاريخ، بأن هؤلاء جميعاً كان لهم، وكان هذا العقب ممن أكرمه الله بالإسلام، عمرو بن العاص وابنه عبد الله، وعكرمة ابن أبي جهل ، وابنة عقبة بن أبي معيط.

هذه الأسباب وغيرها تجعلنا نرد هذا القول، لما يترتب عليه من محاذير كثيرة.

والذي يظهر بعد هذا أن ما أخرجه الإمام مسلم وغيره من الأئمة، هو الذي ينبغي أن يقبل، ثم مما يزيد هذا القول ترجيحاً ، ويزيد النفس اطمئناناً له، أن السورة الكريمة كما تقول الروايات في الحديبية، ونحن نعلم مقدار ما عاناه النبي ﷺ والمسلمون في الحديبية، حتى أن الله مَنَّ عليهم وهو يعلم ما في نفوسهم بالسكينة ، بل ذكر إنزال السكينة مرات ثلاث في سورة الفتح، وسورة الفتح – كما نعلم – نزلت في منصرفه ﷺ من الحديبية، والمنطق الذي تطمئن إليه النفس أن كلتا السورتين نزلت في الحديبية بشرى للنبي ﷺ ، كانت سورة الفتح وعداً له بالنصر وثناءً على المؤمنين معه، وكانت سورة الكوثر بشرى للنبي ﷺ بما أعد الله له من خير، لا في الدنيا وحدها، بل في الآخرة كذلك. والذي يزيد هذا الأمر وضوحاً قوله سبحانه: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ وهذا أمر – أعني النحر – بعدما صدهم المشركون عن العمرة .... والأبتر في السورة الكريمة هو الذي لا خير فيه، ولقد صدق الله وعده.

المبحث السادس: فضل سورة الكوثر وما جاء في وصف النهر

من المعلوم أن معظم ما جاء في فضائل السور ضعيف، ولم أجد روايات صحيحة صريحة في فضائل سورة الكوثر، غير أنه من الممكن استنتاج شيء من فضائل السورة من خلال الحديث الذي رواه أنس ، مع الاشارة الى أنني هنا اقتصر على ذكر ما صح من الأحاديث حول فضائل هذه السورة العظيمة ووصف النهر :

١- قال مسلم: حدثنا علي بن حجر السعدي: حدثنا علي بن مسهر، أخبرنا المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة (واللفظ له)، حدثنا علي بن مسهر، عن المختار عن أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة. ثم رفع رأسه مبتسماً. فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! **قال**: أنزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثم قال: "أتدرون ما الكوثر"؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم. فأقول: رب! إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك".[٢٩] ويمكن استنتاج فضل السورة من هذا الحديث الشريف من خلال ما أظهره النبي صلى الله عليه وسلم من الفرح والسرور بنزول هذه السورة الكريمة، وهذا هو الأثر الوحيد الذي من الممكن أن يكون مباشرا، وأما ما جاء من غيره فهو في وصف النهر ونورده لأن النهر مرتكز السورة.

٢- قال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شيبان، حدثنا قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: "لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب لؤلؤ مجوف، فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر"[٣٠].

وقال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى إنا

(٢٩) سبق تخريجه.

(٣٠) صحيح البخاري، ٨/ ٦٠٣، كتاب التفسير، سورة الكوثر، حديث رقم ٤٩٦٤.

أعطيناك الكوثر ، قالت : هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ ، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم[٣١].

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا نافع بن عمر ، عن أبن أبي مليكة قال ، قال عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ "حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبداً"[٣٢].

وقال البخاري حدثنا سعيد بن عفير ، قال : حدثني ابن وهب ، عن يونس قال ابن شهاب : حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء"[٣٣].

قال البخاري : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ وحدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، حدثنا أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : "بينما أنا أسير في الجنة ، إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف" ، قلت : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه - أو طينه - مسك أذفر . شك هدبة.[٣٤]

---

(٣١) صحيح البخاري، ٨/ ٦٠٣، كتاب التفسير ، سورة الكوثر، حديث رقم ٤٩٦٥ .

(٣٢) صحيح البخاري، ١١/ ٤٧٢، كتاب الرقاق، باب (في الحوض وقوله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر). حديث رقم ٦٥٧٩.

(٣٣) المرجع السابق التوثيق نفسه، حديث رقم (٦٥٨٠).

(٣٤) المرجع السابق التوثيق نفسه، حديث رقم (٦٥٨١) . للاستزادة ينظر : التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)، أ. د. حكمت بشير، ج٤، ص ٦٧٤ وما بعدها، دار المآثر، المدينة النبوية، ط١، ١٩٩٩م.

المبحث السابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

- لقد تعددت وجوه الربط عند العلماء بين سورة الكوثر وما قبلها وما بعدها، بل لقد بالغ بعض العلماء كالإمام الرازي – رحمه الله- فذكر أوجها للربط ثلاثية العدد – على عدد آيات سورة الكوثر – بين سورة الكوثر والسور الخمس عشرة قبلها – من سورة الضحى إلى الكوثر : فقال هي كالتتمة لما قبلها، ثم ربطها بما بعدها وقال وهي كالأصل لما بعدها(٣٥).

- ولكن، الحق يقال: إن هذا الربط كان ظاهر التكلف، ومع إيماننا بأن القرآن الكريم وحدة موضوعية واحدة، فالسورة الواحدة ترتبط برباط وثيق مع ما قبلها وما بعدها في نظام دقيق أنيق كحبات العقد الواحد، كما أن آيات السورة الواحدة يأخذ بعضها بعناق بعض في تواؤم بديع وإحكام رفيع – مع إيماننا بذلك – إلا أن هذا لا يعني أن نقبل ونسلم بكل ما كتب في هذا المجال، فهي اجتهادات يقبل منها ويرفض ويؤخذ ويرد.

وأذكر هنا أهم ما قيل في هذا الربط :

المطلب الأول: علاقة سورة الكوثر بسورة الماعون قبلها

١- لما كانت سورة (الدين) بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم فجاءت الكوثر لذلك.

وكانت الدين قد ختمت بأبخل البخل وأدنى الأخلاق (المنع) تنفيراً من البخل ومما جره من التكذيب ، فابتدئت الكوثر بأجود الجود: (العطاء) ، لأشرف الخلائق

(٣٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٢، ص ١٠٩، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠.

ترغيباً فيه وندباً إليه ، فكان كأنه قيل : أنت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون[٣٦].

٢- إن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة ، وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة :

أولها : البخل وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾

الثاني : ترك الصلاة وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾

الثالث : المراءاة في الصلاة وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾

الرابع : المنع من الزكاة وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾

فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعا :

١- فذكر في مقابلة البخل قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ ، أي : أعطيناك الكثير فأعط أنت الكثير ولا تبخل.

٢- وذكر في مقابلة ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ ، قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ ﴾ أي دم على الصلاة.

٣- وذكر في مقابلة ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾ قوله تعالى ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ أي : ائت بالصلاة لرضا ربك لا لمراءاة الناس.

---

(٣٦) البقاعي، نظم الدرر، ج٨، ص ٥٤٧.

٤- وذكر في مقابلة ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ ، قوله ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي(٣٧).

وقد ذكر ابن الزبير الثقفي(٣٨) والشيخ عبد الله محمد الصديق الغماري(٣٩) وجوهاً أخرى للربط ، آثرت عدم ذكرها اختصاراً.

المطلب الثاني: علاقة السورة بما بعدها؛ سورة (الكافرون):

١- لما قال تعالى في الكوثر ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ أمره في ﴿ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه ، ولا يعبد ما يعبدون ، وبالغ في ذلك فكرر ، وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه(٤٠).

٢- لما أخبره تعالى في الكوثر أن العريق في شنآنه عدم ، وجب أن يعرض عنه ويقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك ، فقال معلماً له ما يقول ويفعل : ﴿ قُلْ ﴾ ولما كان شانئه أعرق الخلق في الضلال والبعد من الخير ، قال منادياً له بأداة البعد وان كان حاضراً معبراً بالوصف المؤذن بالرسوخ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾...(٤١)

المبحث الثامن: القراءات المتواترة في السورة وتوجيهها

١- قال الشيخ عبد الفتاح القاضي – رحمه الله- .

---

(٣٧) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٢، ص ١١٠. ونقل ذلك السيوطي في : تناسق الدرر في تناسب السور، ص ١٤٤، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦.

(٣٨) ابن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص ٢٤١، طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٨، تحقيق د. سعيد الفلاح.

(٣٩) عبد الله محمد الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ، مكتبة القاهرة، دت، دط.

(٤٠) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص ١٤٥.

(٤١) البقاعي، نظم الدرر، ج٨، ص ٥٥٤.

﴿وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ﴾ لا يخفى ما فيه من النقل لورش، ومن السكت وغيره لحمزة وصلا ووقفاً، فتقرأ: (وآنحران) وكذلك (هُوَ لَبتر)(٤٢).

توجيه هذه القراءة:

قال ابن أبي مريم في "الموضح"(٤٣):

والوجه أنه لما تحركت الهمزة، وقبلها ساكن، خففت بأن نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها، ثم حذفت الهمزة، فصار (انْحَرِنَّ) و (هُوَ لَبْتَر)، اللام محركة بحركة الهمزة(٤٤)، وهذا تخفيف الهمزة في مثل هذه الصورة.

وقرأ الباقون بالهمز فيهما ﴿وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ﴾ ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ وهو الأصل من غير تخفيف(٤٥).

٢- ﴿شَانِئَكَ﴾ قال الشيخ عبد الفتاح في البدور الزاهرة: أبدل أبو جعفر الهمزة ياء خالصة في الحالين، وكذلك حمزة إن وقف، فتقرأ (شانيك).

- أما رواية شانيك عن الأعشى عن شعبة عن عاصم فهي من الشواذ(٤٦).

---

(٤٢) انظر: عبد الفتاح القاضي: البدور الزاهرة، ص ٣٤٨، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٩٨١م.

(٤٣) نصر بن علي الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي المعروف بابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر الكبيسي، ج٢، ص ١٤٠٤، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ط١، ١٩٩٣م.

(٤٤) قال ابن الجزري في باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها: " وهو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد، لغة لبعض العرب، اختص بروايته ورش. بشرط أن يكون آخر كلمة وأن يكون غير حرف مد وأن تكون الهمزة أول الكلمة الأخرى سواء كان ذلك الساكن تنوينا أم لام تعريف أم غير ذلك فيتحرك ذلك الساكن بحركة الهمزة. وتسقط هي من اللفظ لسكونها وتقدير سكونها " (النشر في القراءات العشر، ج١، ص ٣١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

(٤٥) انظر (الفصل السابع في الهمزة وأحكامها من النشر)، والبدور الزاهرة، ص ٣٤٨.

(٤٦) عند ابن خالويه هذه الرواية عن الأعشى من الشواذ (القراءات الشاذة: ١٨١)، غير أن أبا جعفر (وهو من القراء العشرة) قرأ بها. انظر إرشاد المبتدي: ١٧٣ والنشر ١/ ٣٩٦.

توجيه هذه القراءة:

والوجه أن الأصل شانئك بالهمز، لأنه من شنئته إذا أبغضته، إلا أن الهمزة خففت في الكلمة، وتخفيفها ها هنا أن تجعل ياء؛ لأن قبلها كسرة، نحو (مير) جمع (مئرة)، وهي العداوة، والأصل (مئر) بالهمز فخفف[٤٧].

وقرأ الباقون ﴿شَانِئَكَ﴾ بالهمز وهو الأصل[٤٨]: هذا ما تواتر من القراءات في هذه السورة.

وأشير هنا إلى قراءة اشتهرت عند المفسرين ولكنها من الشواذ وهي (أنطيناك) فقد قرأ الحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني (أنطيناك) بالنون وهي على ما قاله التبريزي لغة العرب من أولى قريش، وذكر غيره أنها لغة بني تميم وأهل اليمن.

ومن كلامه ﷺ:

"اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة، وكتب ﷺ لوائل: أنطوا الثبجة[٤٩] في الصدقة[٥٠]" [٥١]

وبما أنها من الشواذ، فتكفي الإشارة لها لتعلم، دون الوقوف عندها.

---

(٤٧) الموضح، ج٢، ص ١٤٠٥.

(٤٨) البدور الزاهرة، ص ٣٤٨.

(٤٩) الثبجة: أي الوسط في الصدقة، لا من خيار المال ولا من رذالته، والتاء فيها هي تاء النقل من الاسمية إلى الوصف (لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص ٢٢٠).

(٥٠) أبو حيان، البحر المحيط، ج٨، ص ٥٢٠، الآلوسي، روح المعاني، ج٣٠، ص ٣١٣.

(٥١) أخرجه الحاكم في مستدركه ج/٤، ص/٣٦٣، ح/٧٩٣٠، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط-١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الإمام الذهبي في تعليقه على الحديث في التلخيص: (صحيح). وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ج/٤،ص/١٩٨،ح٧٦٧٣، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار ابن باز- مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الفصل الثاني: التفسير التحليلي للسورة

تمهيد

سورة الكوثر ودلالتها على الإعجاز

"كان عهد نزول القرآن في حياة العرب يمثل ذروة اهتمام المجتمع القبلي في الجزيرة العربية ببلاغة الكلمة، وفصاحة المنطق، ودقة الحس البياني، أكثر من أي وقت مضى، فليس غريباً عنا ما كانت توليه القبيلة من احترام وتقدير لأصحاب اللسان الماشق والحس المرهف، فترى الشاعر سيف القبيلة الناطق، الذي تجرده بوجه أعدائها، وتقدمه درعاً واقياً يرد عنها سهام الكلام، حتى أن أبياتاً من الشعر تحوي من قارص الكلم أشده يمكن أن تفعل فعلها أشد من السنان، وأمضى من المهند المصقول.

وذاك سوق عكاظ، نادي الأدباء العرب - إن صح التعبير - يجتمعون فيه، لتتصارع الكلمة في حلبة البلاغة، وليتبارز البيان بسيوف الفصاحة، تشد إليه الرحال، وتعقد عليه الآمال، كل ذلك يعمق في الجزيرة العربية حقيقة كونها مجتمع الكلمة الذي لم يعرف اللحنُ له طريقاً، ولم تسلك العجمةُ إليه سبيلاً.

وجاء القرآن كلام الله المجيد، ينشر من أريجه عطر القداسة، يضم بين دفتيه ما يحير العقول ويأخذ بالألباب.

جاء ليتحدى كبرياء الكلمة في عقر دارها، وشموخَ البيان في عنفوانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ فكانت المعجزة التي ألقت لها الفصاحة قيادها، وكأن دولة البلاغة العظمى كانت تنتظر ملكها بلهفة وشوق، وهكذا كان"[٥٢].

(٥٢) حامد الخفاف: مقدمة إعجاز سورة الكوثر للزمخشري، ص ٧ ، ٨، دار البلاغة - بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

فالقرآن الكريم معجز ببيانه للعرب والعجم ولسائر الأمم، في الكثير منه والقليل، والقصير والطويل، ونحن هنا نضرب مثلاً على إعجاز هذا الكتاب الجليل، بأقصر سورة من التنزيل، تغني عن ذكر الإعجاز في الكثير والطويل، ونبين من خلال التفسير والتحليل، السرَّ في القرآن الذي من أجله اعترض الناسَ الحجزُ، وتبين فيهم العجزُ.

وفي هذا المعنى يقول الزمخشري:

"أوحى الله لرسوله ﷺ سورة على صفة إيجاز واختصار، وذلك ثلاث آيات قصار، جمع فيها ما لم يكن ليجتمع لأحد من فرسان الكلام، الذين يخطمونه بالخطام[٥٣]، ويقودونه بالزمام كسحبان[٥٤] وابن عجلان وأضرابهما من الخطباء المصاقع والبلغاء البواقع[٥٥] الذين تفسحت في هذا الباب خطاهم، وتنفس في ميادينه مداهم".[٥٦]

"انظر كيف نظمت النظم الأنيق، ورتبت الترتيب الرشيق، حيث قدم منها ما يدفع الدعوى ويرفعها، وما يقطع الشبهة ويقلعها، ثم لما يجب أن يكون عنه مُسَبَّباً،

(٥٣) الخطام: الزمام، وخطمت البعير: زممته (الصحاح، الجوهري- خطم — ٥: ١٩١٥).

(٥٤) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان، يقال: "أخطب من سحبان" و "أفصح من سحبان" اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مطبعة السعادة، مصر. ط١، ١٣٢٢ه، ٢: ١٠٩/ ٣٦٦٣. وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسي، تصحيح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، ط٢.، ٣: ١٥٦. مجمع الأمثال، الميداني، ١: ٢٤٩. الأعلام، الزركلي، ٣: ٧٩).

(٥٥) البواقع: الباقعة: الرجل الداهية (لسان العرب- بقع- ٨: ١٩).

(٥٦) إعجاز سورة الكوثر، الزمخشري، ص ٥٥.

وعليه مترتباً، ثم ما هو تتمة الغرض من وقوع العدو في مُغَوَّاته[٥٧] التي حفر، وَصَلْيه بحَرِّ ناره التي سعر، ومن الشهادة على إلصاقه بالسليم عيبه، وتوريكه[٥٨] على البريء ذنبه"[٥٩].

وفيما يلي بيان مظاهر هذه العظمة في الإعجاز تفصيلاً.

التفسير التحليلي

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾

تمهيد

لقد ألَّفَ العلامة الزمخشري (٥٣٨هـ) رسالة في بيان وجه الإعجاز الأهم والأوضح في القرآن، وهو الإعجاز البياني، إجابة على سؤال أحد العلماء له، وضرب مثالاً لذلك (سورة الكوثر)، وبين بكلام مختصر دقيق وعميق، لم يتجاوز إربع صفحات، مظاهر هذا الإعجاز. ثم جاء الإمام الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) فذكر حاصل ما أورده الزمخشري، ونَظَّمَه في نقاط محددة بكل آية.

ثم جاء ابن القيم (٧٥١هـ) في كتابه (الفوائد المشوق)، فذكر كذلك مجملاً لتحليل الزمخشري لسورة الكوثر، ونسب بعض الناس هذا التحليل لابن القيم جهلاً.

ولقد رأيت في تفسيري التحليلي لهذه السورة الكريمة أن أجعل – في الغالب – كلام الزمخشري – رحمه الله – محور التحليل، فهو في معظمه دقيق مختصر العبارة

---

(٥٧) مغواته: مغواة: حفرة كالزبية تحفر للذئب، ويجعل فيها جدي إذا نظر عليه الذئب سقط عليه يريده. ومنه قيل لكل مهلكة "مغواة". (النهاية، ابن الأثير– غوا– ٣: ٣٩٧).

(٥٨) توريكه: ورك عليه ذنبه: حمله عليه (أساس البلاغة، الزمخشري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ورك – ص ٤٨١).

(٥٩) إعجاز سورة الكوثر، ص٥٦.

مسبوكها يحتاج إلى شرح وتفسير وتعليق، فأذكر عبارته ثم أعلق عليها توضيحاً وشرحاً وتحليلاً، ثم أضيف – مما ذكره العلماء ما لم يورده الزمخشري، وأضيف كذلك مما لم يذكره العلماء من لفتات ما يضفي على البحث شمولية واستيعاباً، ويقدم لمفهوم التفسير التحليلي نموذجا تطبيقيا واضحا قدر الاستطاعة والوسع، والله أسألُ أن يعين، وأن يرزقنا فهم الفطين، وأن يبعد عنا الرأي الفطير.

المبحث الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾

فيه فوائد كثيرة منها:

أولاً: إنه يدل على عطية كثيرة، مستندة إلى معط كبير، ومتى كان ذلك كانت النعمة عظيمة(٦٠).

ومعنى هذا أن في قول الله تعالى (إنّا) الدال على العظمة - حيث جَمَع ضمير المتكلم المشعر بعظم الربوبية - إشارة إلى عظم العطاء والمعطي، فتأمل كيف أن من أُسْند إليه إسداء هذه العطية، وإيتاء هذه الموهبة السنية، هو ملك السموات والأرض، ومالك البسط والقبض، وكيف وسع العطية وكثرها، وأسبغها ووفرها، فدل بذلك على عظم طرفي المعطي والمعطى، وعلى جلال جنبي المسدي والمسدى، وقد عُلم أنه إذا كان المعطي كبيراً كان العطاء كثيراً، فيا لها من نعمة مدلول على كمالها، مشهود بجلالها(٦١).

---

(٦٠) الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، و د. محمد بركات أبو علي، ص ١٩٠، دار الفكر، عمّان، ١٩٨٥م. وينظر: عبد القادر حسين، تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي، ص ١٩٩، دار الاوزاعي- بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م .

(٦١) الزمخشري، إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٦.

ثانياً: افتتح الكلام بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم، يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي ﷺ كما تقدم، والكلام مسوق مساق البشارة وإنشاء العطاء في المستقبل، لا مساق الاخبار بعطاء سابق فحسب[٦٢].

ثالثاً: إنه بنى الفعل على المبتدأ، فدل على الخصوصية، فإن تقديم المحدث عنه آكد لإثبات الخبر[٦٣].

وتوضيح ذلك: أن الله تعالى قدم المبتدأ الذي هو الفاعل من حيث المعنى على الفعل، إذ الأصل أن يتقدم الفعل على الفاعل، والعامل على المعمول، وإذا تغير هذا الترتيب من البليغ فإنما يكون لغرض بياني وقصد بلاغي، فالقياس أن يقال (أعطيناك الكوثر) أي (أعطينا نحن أنت الكوثر)، الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به، ولكنه تعالى عدل عن ذلك لفائدة جليلة عظيمة هنا وهي (الدلالة على الاختصاص)، فتقديم الفاعل (من حيث المعنى) وهو النون في (إنا)[٦٤] على الفعل فأصبح الفعل في إفادته المعنى معتمداً على المبتدأ قبله، ولذا قال فإن تقديم المُحَدِّثِ (بكسر الدال، اسم فاعل) وهو هنا النون من لفظ (إنا)، والمحدِّث: أي المتحدث المخْبِر، وهو هنا الله تعالى، (عنه) أي عن الفعل، آكد لإثبات الخبر – والخبر ها هنا جملة أعطيناك.

وحاصل معنى الجملة المفيد للاختصاص: إننا نحن من أعطاك هذه النعمة الكثيرة، إننا نحن دون غيرنا؛ لأن الاختصاص يفيد أمرين إثباتا ونفيا، وهنا أثبت أن

---

(٦٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (بتصرف)، ص ٥٧.

(٦٣) الزمخشري، إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٧. الرازي: نهاية الإيجاز، ص ١٩٠.

(٦٤) لا يخفى أن الفاعل من حيث المعنى هو في الإعراب اسم (إن)، أي (نا) فالتقدير إننا أعطيناك. فحذف أحد النونين كراهة اجتماع الأمثال (أنظر: حاشية شيخ زادة على البيضاوي، ج٤، ص ٧٠١، دار إحياء التراث العربي) د ت، د ط.

العطاء من عنده هو فقط، ونفاه عن غيره، وإذا كان المعطي هو الله دون غيره فلك أن تتخيل عظمة هذا العطاء بما لا يقع تحت تصور.

ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من زيادة للتوكيد، وتقوية لمعنى الجملة، ذلك لأن المسند إليه وهو أهم أركان الجملة تكرر مرتين؛ مرة في (إنا) المبتدأ (اسم إن) والذي هو – كما قلنا – فاعل من حيث المعنى، وأخرى في النون (الفاعل) في أعطيناك، وفي تكرار الركن مرتين من تقوية الجملة وتأكيدها ما فيه مما يعرفه البلاغيون.

رابعاً: إنه أورد الفعل بلفظ الماضي، ولم يورده بلفظ الاستقبال؛ ليشمل عطاء العاجلة وعطاء الآجلة[٦٥]، الدنيا والآخرة. والتعبير بالماضي عن المستقبل دلالة على تحقق الوقوع لا محالة كقوله تعالى ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ أي ستكون يوم القيامة كذلك.

ولكن لما كان إخبار الله تعالى عن وقوعها لا تَخَلُّفَ له، عبر بالماضي كأنه حصل وانتهى، وهنا لما كان وعد الله جل في علاه لنبيه بالعطاء لا ارتياب في وقوعه، دلَّ على أن المتوقع من سيب[٦٦] الكريم في حكم الواقع، والمترقب من نعمائه بمنزلة الثابت الناقع.

ومثل هذا وقريب منه ما ذكره الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ يقول "والكريم الرحيم إذا أطمع فعلى ما يطمع فيه يجري إطماعه مجرى وعده المحتوم "[٦٧].

---

(٦٥) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٧، بتصرف.

(٦٦) السيب: العطاء (الصحاح– سيب– ١/ ١٠٥).

(٦٧) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٢٢٩، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

خامساً: استعمل لفظ الإعطاء دون الإيتاء ، وهذا يلفت النظر ويسترعي الانتباه، ذلك لأن المقام مقام عطاء عظيم، ولفظ الإيتاء له تميز وأفضلية على لفظ الإعطاء من النواحي الآتية: (٦٨)

١- الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله. ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ بينما في الزكاة قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

٢- والإيتاء يكون للمادي والمعنوي، وغلب في المعنوي؛ مثل ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ والإعطاء أغلب ما يكون في الماديات، ولذا فالإعطاء يكون على جهة التمليك، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ وقد لا يكون الإيتاء كذلك.

٣- الإيتاء لا يكون إلا للشيء الكثير والعظيم الشأن، وقد يكون الإعطاء للقليل ، قال تعالى ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

الظاهر إذن أن لفظ الإيتاء كان أحق بالمقام من لفظ الإعطاء، فلم جاء التعبير بالإعطاء؟!..

يقول الدكتور فضل عباس بعد أن ذكر مجمل الفروق السابقة: " فانظر كيف عبّر عن كل من الزكاة والجزية، ففي جانب الزكاة استعملت كلمة الإيتاء، فيمكن أن نلمح الفروق التي ذكرناها من قبل ، فهي عطاء على سبيل التمليك من جهة ، وهي أكثر قوة في إثبات مفعولها كذلك ، لأن المؤمنين يخرجونها خالصة من قلوبهم ، ولا كذلك الجزية ، ولقد استعمل الايتاء كذلك بجانب الملك والحكمة ، قال الله تعالى

---

(٦٨) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج٤، ص ١٠١، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م. وروح المعاني، ج٣، ص ٣١٥ . والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دط، دت. ص ٩،٨ بتصرف.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ وقال تعالى ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ أما الإعطاء، فيكفي أن نقرأ فيه هذه الآية ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ واعطاء المنافقين لا لكونهم يستحقونه ، يقول الرسول ﷺ " أني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يُكب في النار على وجهه "[٦٩] . بعد ذكر الفروق بين لفظ الإعطاء والإيتاء، قد يتساءل بعض الناس: ماذا تقول في قوله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر)، وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ... والجواب عن ذلك : أن هذا الذي أعطيه النبي ﷺ هو قليل في حقه مهما كثر وعظم، وهو قليل كذلك إذا قيس إلى ما هو أعظم منه عند الله تعالى[٧٠].

سادساً: جعل المفعول الأول – الكاف من أعطيناك – ضميراً للمخاطب، دون التعبير بوصف الرسول أو نحوه، إشعاراً بأن الإعطاء غير معلل ، بل هو من محض الاختيار والمشيئة، وفيه أيضاً من تعظيمه عليه الصلاة والسلام بالخطاب ما لا يخفى[٧١].

سابعاً: اختار الصفة المؤذنة بإفراط الكثرة، المترجمة عن المعطيات الدثرة، وجاء بها على صيغة خاصة[٧٢].

قال صاحب التحرير والتنوير:

---

(٦٩) ينظر : صحيح مسلم ، باب (إعطاء من يخاف على إيمانه) ، رقم ٢٤٨٠ ، ج٣ ، ص١٠٤.

(٧٠) د. فضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم (بتصرف) ص ١٧٠-١٧٢، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط٥، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م. وانظر: روح المعاني، ج٣، ص ٣١٥، فقد ذكر وجوها أخرى من التوجيه.

(٧١) أنظر: روح المعاني، ج٣، ص ٢٤٦.

(٧٢) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٧.

" والكوثر: "اسم في اللغة للخير الكثير صيغ على زنة فوعل وهي من صيغ الأسماء الجامدة غالباً، نحو الكوكب، والجورب، والحوشب والدوسر[٧٣]، ولا تدل في الجوامد على غير مسماها، ولما وقع فيها مادة الكثر كانت صيغته مفيدة شدة ما اشتقت منه، بناء على ان زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى، ولذلك فسره الزمخشري بالمفرط في الكثرة، وهو أحسن ما فسر به وأضبطه، ونظيره: جوهر، بمعنى الشجاع كأنه يجاهر عدوه. والصومعة؛ لاشتقاقها من وصف أصمع وهو دقيق الأعضاء، لأن الصومعة دقيقة لأن طولها أفرط من غلظها.

ويوصف الرجل صاحب الخير الكثير بالكوثر من باب الوصف بالمصدر كما في قول لبيد في رثاء عوف بن الأحوص الأسدي:

وصاحب ملحوب فجعنا بفقده وعند الرداع بيت آخر كوثر [٧٤]

(ملحوب والرداع) كلاهما ماء لبني أسد بن خزيمة، فوصف البيت بكوثر.

ولاحظ الكميت هذا في قوله في مدح عبد الملك بن مروان:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقايل كوثرا[٧٥]

وسمى نهر الجنة كوثرا كما في حديث مسلم عن أنس بن مالك المتقدم آنفاً.

وقد فسر السلف الكوثر في هذه الآية بتفاسير؛ أعمها أنه الخير الكثير. وروي عن ابن عباس قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس: إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير، وعن عكرمة: الكوثر هنا: النبوة والكتاب، وعن

---

(٧٣) الحوشب: المنتفح الجنبين، وعظم في باطن الحافر، واسم للأرنب الذكر، والثعلب الذكر، (انظر لسان العرب، ١/ ٣١٨)، والدوسر: الضخم الشديد. القوي من الإبل، (اللسان، ٤/ ٢٨٥).

(٧٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، سورة الكوثر، ج٢٠، ص٢١٨، وابن عاشور في التحرير والتنوير، سورة الكوثر، ج٣٠، ص٥٠٣.

(٧٥) في حاشية البحر المحيط: البيت من الطويل للكميت؛ أنظر اللسان مادة (كثر).

الحسن: هو القرآن، وعن المغيرة: أنه الإسلام، وعن أبي بكر بن عياش: هو كثرة الأمة، وحكى الماوردي: أنه رفعة الذكر، وأنه نور القلب، وأنه الشفاعة. وكلام النبي صلى الله عليه وسلم المروي في حديث أنس لا يقتضي حصر معاني اللفظ فيما ذكره[(٧٦)].

وقال شيخ زادة في حاشيته على البيضاوي بعد أن ذكر مجموعة من الأقوال في معنى الكوثر: ولعل المصنف إنما لم يرض بهذه الأقوال، لأن الكوثر الذي هو الخير الكثير، يتناول جميع ما أنعم الله تعالى به عليه، ﷺ وليس حمله على البعض أولى من حمله على الباقي فيجب إبقاؤه على ما يعم خيري الدنيا والآخرة، لأن حمله على البعض، تخصيص دون مخصص[(٧٧)].

ثامناً: جاء بالكوثر محذوف الموصوف لأن المُثْبَتَ ليس فيه ما في المحذوف من فرط الإبهام والشياع والتناول على طريق الاتساع.[(٧٨)].

وهذا الكلام يحتاج إلى بيان؛ فقوله (جاء بالكوثر محذوف الموصوف) يعني به أن الكوثر صفة، وموصوفها محذوف والتقدير (إنا أعطيناك نهر الكوثر) مثلاً، فيكون الكوثر صفة للنهر، وإنما جاء بالكوثر صفة لموصوف محذوف لأن في ذكر الموصوف تحديداً للكوثر بهذا الموصوف فقط، بينما حذف الموصوف فيه ما فيه من الإبهام والشياع والتناول على طريق الاتساع حيث يصح أن يكون الكوثر صفة لكل ما يمكن أن يخطر في البال من الخير[(٧٩)].

---

(٧٦) التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٥٧٢. وانظر تفسير القرطبي، مجلد ١٠، ج٢٠، ص ١٩٢، دار الفكر- بيروت، دط ، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م، فقد ذكر ستة عشر قولاً في معنى الكوثر.

(٧٧) حاشية شيخ زادة، ج٣، ص ٧٠١.

(٧٨) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٧.

(٧٩) ينظر: الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل على الجلالين)، للشيخ سليمان العجيلي الشهير بالجمل، ج٨، ص ٤١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

تاسعاً: أتى بهذه الصفة (الكوثر) مصدره باللام المُعَرِّفة، لتكون لما يوصف بها شاملة، وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة.(٨٠)

وقال الإمام الرازي موضحا هذه الفقرة عند الزمخشري: " ولما لم تكن للمعهود - أي ليست (أل) العهدية - وجب أن تكون للحقيقة(٨١)، وليس بعض أفرادها أولى من بعض فتكون كاملة، وقد دخل فيه الجواب عن كونه غير معقب ابنا: لأن بقاء الابن بعده لا يخلو عن أمرين: إما أن يجعل نبياً، وذلك محال لكونه خاتم الأنبياء، أو لا يجعل نبياً وذلك يوهم أنه خلف سوء، فصين عن تلك الوصمة بما أعطي من (الخير الكثير)، وهو حصول الغرض المتعلق بهم مع انتفاء الوصمة اللازمة لو كانوا ولم يكونوا أنبياء.(٨٢)

---

(٨٠) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٧.

(٨١) يختلف العلماء في معاني (لام) التعريف وفي تفصيلات ذلك، كما قد تختلف عباراتهم واصطلاحاتهم مع إرادتهم أحيانا المعنى نفسه، فالرازي يرى أن معنى (لام) التعريف هنا هو إفادتها الحقيقة والماهية، أي الإشارة إلى الجنس دون النظر للأفراد كقولنا (الرجل أقوى من المرأة) فهو يريد بهذا جنس الرجال بشكل عام لا على التعيين، فليس كل رجل أقوى من كل امرأة، وإفادة الحقيقة هي أحد معانٍ ثلاثة للتعريف الدال على الجنس، والمعنى الآخر هو أن يقصد منها فرد غير معين من أفراد الجنس، كاللام من الذئب في قوله تعالى (... وأخاف أن يأكله الذئب) ... أما المعنى الأخير فهو إفادة استغراق الجنس؛ كقوله تعالى (وخلق الإنسان ضعيفاً) فلا يخرج إنسان أبداً عن هذا المعنى. والذي ينسجم مع معاني السورة الكريمة والتحليل الذي بيّنه العلماء ومنهم الزمخشري أن يكون معنى (اللام) الجنسية هنا هو إفادة الاستغراق، استغراق الكثرة من كل خير في الوجود لا مجرد الحقيقة والماهية، وهذا ينسجم مع قوله (لتكون لما يوصف بها شاملة وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة).

(٨٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، و د. محمد بركات أبو علي، ص ١٩٠، دار الفكر، عمّان، ١٩٨٥م

المبحث الثاني: قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (الكوثر ٢)

فيه أيضاً عدة فوائد:

أولاً: الفاء فاء التعقيب وهي ها هنا مستعارة من معنى التسبب لمعنيين:

أحدهما: جعل الإنعام الكثير سبباً للقيام بشكر المنعم وعبادته.

ثانيهما: جعله سبباً لترك المبالاة بقول العدو الشانئ المبغض[(٨٣)].

وقال ابن عاشور: "وقوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ اعتراض، والفاء للتفريع[(٨٤)] على هذه البشارة بأن يشكر ربه عليها، فإن الصلاة أفعال وأقوال دالة على تعظيم الله والثناء عليه، وذلك شكر لنعمته..

وناسب أن يكون بالازدياد مما عاداه عليه المشركون وغيرهم ممن قالوا مقالتهم الشنعاء: إنه أبتر، فإن الصلاة لله شكر له وإغاظة للذين ينهونه عن الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ لأنهم إنما نهوه عن الصلاة التي هي لوجه الله دون العبادة لأصنامهم، وكذلك النحر لله.

ويتعين أن في تفريع الأمر بالنحر مع الأمر بالصلاة على أن أعطاه الكوثر، خصوصية تناسب الغرض الذي نزلت السورة له، ألا ترى أنه لم يذكر الأمر بالنحر مع الصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾

ويظهر أن هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صد المشركين إياه عن البيت في الحديبية، فأعلمه الله تعالى بأنه أعطاه خيراً كثيراً، أي قدره له في

---

(٨٣) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٧، والدر المصون، السمين الحلبي، ج ١١، ص ١٢٨، تحقيق د. احمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

(٨٤) للتفريع: أي لترتيب ما بعدها على ما قبلها.

المستقبل، وعبر عنه بالماضي لتحقيق وقوعه، فيكون معنى الآية كمعنى قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فإنه نزل في أمر الحديبية فقد قال له عمر بن الخطاب: أَفَتْحٌ هذا؟ قال: نعم.[٨٥]

ثانياً: قصد باللامين[٨٦]:

١- التعريض بدين العاص وأشباهه ممن كانت عبادته ونحره لغير الله.

٢- تثبيت قدمي رسول الله ﷺ على الصراط المستقيم، وإخلاصه العبادة لوجهه الكريم[٨٧].

فاللام من (لربك) أفادت أنه يخصُّ اللهَ بصلاته، فلا يصلي لغيره، ففيه تعريض بالمشركين بأنهم يصلون للأصنام بالسجود لها والطواف حولها.

ثالثاً: أشار بهاتين العبادتين (الصلاة والنحر) إلى نوعي العبادات وصنفي الطاعات، أعني بها الأعمال البدنية التي الصلاة إمامها، والمالية التي نحر البدن سنامها[٨٨].

أما الصلاة فهي عمود الدين قال صلى الله عليه وسلم: " رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة .." [٨٩]الحديث. وهي العهد الفارق بين المسلمين والكفار كما قال

---

(٨٥) التحرير والتنوير، ج ٣٢، ص ٥٧٤.

(٨٦) أي بلام (لربك)، واللام المحذوفة في قوله (وانحر)؛ أي وانحر له، كما سيأتي.

(٨٧) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٨.

(٨٨) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٨.

(٨٩) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الجهاد، ج/٢، ص/٨٦، ح/٢٤٠٨، وكتاب التفسير- باب تفسير سورة السجدة، ج/٢، ص/٤٤٢، ح/٣٥٤٨ وقال: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وقال عنه الإمام الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه الترمذي في الجامع في أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج/٤، ص/٣٠٨، ح/ ٢٦١٦ وقال عنه: حديث حسن صحيح.

صلى الله عليه وسلم: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر"(٩٠) وهي مقياس صلاح الأعمال يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر.."(٩١) ويكفي في الدلالة على فضل الصلاة أن النبي ﷺ كان آخر كلامه في آخر عهده من الدنيا الوصية بالصلاة قال صلى الله عليه وسلم: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم".

وأما النحر فقرنت أهميته كذلك بأهمية الصلاة هنا في سورة الكوثر وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ فالتركيز عليهما تحديدا من بين سائر العبادات مع اقترانهما بذكر المحيا والممات وبيان أنهما خالصة لرب العالمين فيه إشارة صريحة إلى عظمهما.

ويظهر في الآية الكريمة أن الصلاة لا يجوز التوجه بها إلا إلى الله تعالى كما أن النحر من المسلم لا يجوز صرفه لغير الله تعالى ردا على كفار العرب الذين كانوا ينحرون لأصنامهم وآلهتهم، وهذا من أعظم الشرك بالله تعالى.

فإخلاص الصلاة بمفهومها البدني، والنحر وإراقة الدم بمفهومه المادي لله تعالى من أعظم علامات التقوى والإخبات لله تعالى.

---

(٩٠) أخرجه الإمام الترمذي في الجامع كتاب الإيمان - باب ما جاء في ترك الصلاة، ج/٥، ص/١٣، ح/٢٦٢١ وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب، تحقيق: أحمد شاكر والألباني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٩١) أخرجه الإمام الترمذي في الجامع كتاب الصلاة - باب أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، ج٥، ص٢٥٧، وقال عنه الشيخ الألباني: حديث صحيح غريب

وأخذوا من وقوع الأمر بالنحر بعد الأمر بالصلاة، دلالة على أن الضحية تكون بعد الصلاة، وعليه فالأمر بالنحر دون الذبح - مع أن الضأن أفضل في الضحايا وهي لا تنحر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضح إلا بالضأن - تغليباً للفظ النحر وهو الذي روعي في تسمية يوم الأضحى يوم النحر، وليشمل الضحايا في البدن والهدايا في الحج، أو ليشمل الهدايا التي عطل إرسالها في يوم الحديبية كما علمت آنفاً ."[٩٢]

"وقيل: انحر: أي ضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر (روي عن ابن عباس)، وروي عن علي أن معناه أن يرفع يديه في التكبير إلى نحره، وقال يبدو نحره"[٩٣]، وذكر الآلوسي هذه الأقوال مع الروايات الدالة عليها، ثم عقب على ذلك بقوله: "ولعل في صحة الأحاديث عند الأكثرين مقالاً" ثم بين تضعيف العلماء لبعضها وردهم للبعض الآخر[٩٤].

والمرجح هو القول الأول بحمل (النحر) على معناه الظاهر، فيجمع بذلك بين نوعي العبادة البدنية والمالية على سبيل التمثيل بذكر أشرفها لتدل على ما دونها[٩٥].

والصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر الثلاثة وهي: الشكر بالقلب: وهو أن يعتقد أن تلك النعم من الله أنعم بها عليه تفضلاً وكرماً، والثاني: الشكر باللسان: وهو أن يمدح المنعم ويثني عليه بما هو أهله، والثالث: الشكر بالجوارح: وهو أن

(٩٢) التحرير والتنوير، ج ٣٢، ص ٥٧٥.

(٩٣) الفتوحات الإلهية، ج٨، ص ٤١٩.

(٩٤) انظر: روح المعاني، ج ٣٠، ص ٢٤٧.

(٩٥) حاشية شيخ زادة علي البيضاوي، ج٤، ص ٧٠٢.

يخدمه ويتواضع له بالطرق التي بينها الشارع، والصلاة جامعة لهذه الأقسام كلها[٩٦]، ولذا قال: (فصل لربك وانحر) دون (فاشكر وانحر).

رابعاً: التنبيه على ما لرسول الله ﷺ من الاختصاص بالصلاة حيث جعلت لعينيه قرة[٩٧]، وبنحر البدن التي كانت همته فيه قوية. ولقد تعددت أقوال العلماء في المقصود بالصلاة، هل هي صلاة مخصوصة أم عموم ما يشمله لفظ الصلاة، فمن قائل هي صلاة الصبح بمزدلفة والنحر بمنى، ومن قائل هي صلاة العيد، والنحر هو التضحية، وبعضهم قال الصلاة هي الصلاة المفروضة[٩٨]، قال ابن عطية: (فصل لربك وانحر) أمْرٌ بالصلاة على العموم، ففيه المكتوبات بشروطها، والنوافل على ندبها، والنحر: نحر البدن والنسك في الضحايا في قول جمهور الناس[٩٩].

والصحيح أنها مطلق الصلاة فلفظ (فصل) يشير إلى جنس الصلاة، فلا نخصصها دون مخصص، لاسيما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت له الصلاة خصوصيات إذ جعلت – كما أسلفنا – قرةً لعينيه، فقد فُرِضَ عليه صلى الله عليه وسلم قيام الليل دون أمته، وقيل فرض عليه كذلك الضحى والأضحية والوتر، فقد روى عنه ﷺ (ثلاث كتبت علي ولم تكتب عليكم: الضحى والأضحية والوتر)؟[١٠٠].

---

(٩٦) حاشية شيخ زادة علي البيضاوي، ج٤، ص ٧٠٢.

(٩٧) إعجاز سورة الكوثر، ص٥٨. وقوله: جعلت لعينيه قرة، إشارة إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "حبب إلى من الدنيا ثلاث: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة" (انظر: مسند الإمام أحمد ٦ / ٧٢ ولفظه كان صلى الله عليه وسلم يعجبه من الدنيا ثلاث؛ الطعام والنساء والطيب) أما قرة العين فلم أجده في الصحاح.

(٩٨) انظر: روح المعاني، ج ٣٠، ص ٢٤٦.

(٩٩) ابن عطية: المحرر الوجيز: ج ٥، ص ٥٢٩، دار المكتب العلمية - بيروت، ط١ ، ١٩٩٣م.

(١٠٠) روح المعاني، ج ٣٠، ص ٢٤٦.

خامساً: حذف اللام الأخرى – أي لم يقل (وانحر له) - لدلالته عليها بالأولى[١٠١]، فإنَّ عطْف (وانحر) على (فصل لربك) يقتضي تقدير متعلقه مماثلاً لمتعلق (فصل لربك) لدلالة ما قبله عليه، كما في قوله تعالى: (أَسْمِعْ بهم وأَبْصر) أي: وأبصر بهم، وكقوله تعالى: (ما ودعك ربك وما قلى)، أي: وما قلاك، فالتقدير في الآية (فصل لربك وانحر له)، وهو إيماء إلى إبطال نحر المشركين قرباناً للأصنام.

سادساً: مراعاة حق التسجيع[١٠٢] الذي هو من جملة صنعة البديع، إذا ساقه قائله مساقاً مطبوعاً، ولم يكن متكلفاً أو مصنوعاً، فإن أسجاع القرآن بعيدة عن التعسف، بريئة من التكلف[١٠٣].

---

(١٠١) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٨.

(١٠٢) السجع: من المحسنات اللفظية، وهو: أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير، وهو مأخوذ من سجعت الحمامة، ولا يكون محموداً مقبولاً، إلا إذا كان غير متكلف، وكان اللفظ فيه تابعاً للمعنى وإلا فهو المذموم.

وقد اختلفوا في وقوعه في القرآن الكريم فمنعه قوم منهم الرماني والباقلاني وقالوا إن ما جاء في القرآن على هيئة السجع إنما يسمى فواصل ولا يسمى سجعاً، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن السجع فقال (أسجعا كسجع الأعراب). "صحيح مسلم رقم ١٦٨٢" والرواية المشهورة في كتب الأدب (أسجعا كسجع الكهان) وقد ذكره ابن حجر في (فتح الباري) بشرحه للحديث الرابع عشر.

وأجازه قوم منهم ابن الأثير في المثل السائر، وضرب لذلك أمثلة كثيرة من القرآن والسنة، فمن القرآن مثل: (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى...) و (يا أيها المدثر قم فأنذر ...) و (إنا أعطيناك الكوثر ...) السورة، وهكذا. ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم (..اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً) "صحيح مسلم ، باب في المنفق والممسك ، رقم٢٣٨٣ " وقوله (رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت عن سوء فسلم) (قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٣٤٩٦ في صحيح الجامع) ، وغير ذلك كثير وردوا على من احتج بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أسجعا كسجع الأعراب)، وقد روته كتب بقولهم: لو كره الرسول صلى الله عليه وسلم السجع مطلقا لقال (أسجعا): ثم سكت، ولما لم يسكت علم أنه ذم نوعاً معيناً من السجع وهو السجع الذي كسجع الكهان أو الأعراب، وما يستتبع ذلك من النهي لذلك الرجل الذي خاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم – أن

سابعاً: أنه قال (لربك) وفيه حسنان:

وروده على طريقة الالتفات[١٠٤]، التي هي أم الأمهات، وصرف الكلام عن لفظ المضمر إلى لفظ المظهر حيث قال (فصل لربك) ولم يقل (إنا أعطيناك ... فصل لنا)، لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لجلال ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه، ففيه إظهار لكبرياء شأنه، وإنافة لعزة سلطانه، ومنه أخذ الخلفاء قولهم: يأمرك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة، وينهاك أمير المؤمنين عن مخالفة الجماعة.

وعُلم بهذه الصفة، أن من حق العبادة أن يَخُصَّ بها العباد ربهم ومالكهم ومن يتولى معايشهم ومهالكهم، وعرَّضَ بخطأ من سفه نفسه، وعطل لبه، ولم يعبد ربه[١٠٥].

=يعترض على حكم النبي بقول كقول الكهان.

والخلاصة أن النفس تميل إلى القول بالسجع في القرآن، على أنه فن من فنون القول والأدب المميزة، ولكنه ذلك السجع الممدوح وليس الغث المكروه. والكلام في ذلك يطول، (ينظر في تفصيل ذلك كتاب أستاذنا د. فضل عباس البلاغة فنوها وأفنانها – علم البيان والبديع، ص ٣٠٣، وما بعدها، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٩٩٨م) .

(١٠٣) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٨.

(١٠٤) قال ابن حمزة العلوي في الطراز: ٢/ ١٣٢: الالتفات: هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا، هو العدول من غيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة... وهكذا، لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك، مثل (إن يوم الفصل كان ميقاتاً يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً وفتحت السماء فكانت أبواباً). فهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره.

(١٠٥) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٩ بتصرف.

وإضافة (رب) إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبي ﷺ وتقريبه، وفيه إشارة إلى أنه يربه ويرأف به[١٠٦].

المبحث الثالث: **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾

وفيه فوائد عدة:

أولاً: علَّلَ الأمر بالإقبال على شأنه وترك الاحتفال بشانئه، على سبيل الاستئناف الذي هو جنس حسن الموقع رائعه، وقد كثرت في التنزيل مواقعه[١٠٧].

وهو بهذا المعنى التعليلي يكون استئنافاً بيانياً، إجابة على سؤال مقدر، فكأنه قيل: لم هذا العطاء الذي لا حصر له من الله لرسوله؟ فيجاب: نكاية في عدوه ومبغضه وبيان أن هذا المتهم له هو الممنوع الخير المقطوع من كل فضيلة، في مقابلة الرسول ﷺ الذي أعطي الكثرة الكاثرة من كل خير.

ثانياً: ويتجه أن تكون جملة للاعتراض، مرسلة إرسال الحكمة الخاتمة الأغراض[١٠٨]. التي تجري مجرى المثل، وتسري بين الناس، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ القصص: ٢٦، وقوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ يوسف: ٢٦ وقوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ الأنفال: ٣٠، فتكون هذه الآية بذلك كالتعقيب على ما سبق من ناحية، وتصلح لآن تنفصل بأداء معنى إذا قطعت عن النص وانفردت بنفسها.

ثالثاً: تصدير الجملة بحرف التوكيد، ومنه أنه لم يتوجه بقيله إلى الصدق، ولم يقصد به الإفصاح عن الحق، ولم ينطق إلا عن الشنآن الذي هو توأم البغي والحسد،

---

(١٠٦) التحرير والتنوير، ج ٣٢، ص ٥٧٤.

(١٠٧) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٩

(١٠٨) إعجاز سورة الكوثرة، ص ٥٩

وعن البغضاء التي هي نتيجة الغيظ والحرد[١٠٩]. ولذلك وسمه بما ينبئ عن المقت الأشد، ويدل على حنق الخصم الألد[١١٠].

"ولقد تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه، وهذه سنة الأحباب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه، وهذا مثله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم[١١١]. فأين مقام أولئك من مقام رسول الله ﷺ وقد تولى الله بنفسه الدفاع عنه.

ثم إن وصف الكفرة له ﷺ بهذا الوصف إنما هو وصف فاسد يضمحل ويفنى، وأما مدح الله تعالى نبيه ﷺ فإنه باق على وجه الدهر[١١٢].

رابعاً: الشانئ هو المبغض وهو فاعل من الشناءة وهي البغض، والشنآن هو البغض أيضاً.

قال ابن منظور: "الشناءة مثل الشناعة: البغض، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟﴾ المائدة: ٨، أي لا يحملنكم بغض قوم على ظلمهم[١١٣].

وذكره هنا بوصفه لا باسمه، ليتناول كل من كان في مثل حاله ممن يكيد بدين الحق[١١٤] ويبغض رسول الهدى.

والأبتر: حقيقته المقطوع بعضه، وغلب على المقطوع ذنبه من الدواب، ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس، تشبيهاً بالدابة المقطوع ذنبها،

---

(١٠٩) الحرد: الغضب (تاج العروس – حرد ٢/٣٣٤).

(١١٠) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٩، ٦٠ .

(١١١) ينظر: التفسير الكبير، ١٢٥/٣٢

(١١٢) ينظر: التفسير الكبير، ١٢٥/٣٢

(١١٣) اللسان، مادة شنأ، ج١/١٠١.

(١١٤) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٩

تشبيه معقول بمحسوس كما في الحديث " كل أمر ذي بال لا يُفتح بذكر الله فهو أبتر"[١١٥] ، يقال : بتر شيئاً إذا قطع بعضه وبتر بالكسر كفرح فهو أبتر، ويقال للذي لا عقب له ذكوراً ، هو أبتر، على الاستعارة ؛ تشبيه متخيل بمحسوس ، شبهوه بالدابة المقطوع ذنبها لأنه قُطع أثره في تخيل أهل العرف[١١٦].

والعدو وصف محمداً ﷺ بالقلة والذلة ، ونفسه بالكثرة والدولة ، فقلب الله الأمر عليه ، وقال : العزيز من أعزه الله ، والذليل من أذله الله ، فالكثرة والكوثر لمحمد ﷺ ، والأبترية والدناءة والذلة للعدو ، فحصل بين أول السورة وآخرها نوع من المطابقة لطيف[١١٧].

خامساً: عرّف الخبر ليتم له البتر، كأنه الجمهور الذي يقال له الصنبور، وأدخل الفصل لبيان أنه المعيَّن لهذه النقيصة ، وأنه المُشَخَّصُ لهذه الغميصة.[١١٨]

فقول الزمخشري : عرف الخبر أي (الأبتر) – خبر إن- ليتم البتر للعدو الشانئ وإثباته له دون غيره ، لأن دخول لام التعريف على الخبر تفيد التخصيص ، فقولنا فلان أبتر هو مجرد إخبار ، ولا يمنع أن يكون غيره أبترا ، ولذا يجوز أن نعطف عليه فنقول : زيد أبتر وعمرو. أما إذا أدخلنا اللام على الخبر فيفيد التخصيص ، فقولنا

---

(١١٥) مسند الإمام أحمد ، ج١٤ ، ص٣٢٩ ، رقم (٨٧١٢) ،تحقيق : شعيب الأرناؤوط ،ط١، مؤسسة الرسالة.

(١١٦) لسان العرب، ج٤/ ص٣٧ بتصرف، والتحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٥٧٦.

(١١٧) التفسير الكبير، ج٣٢/ص١٢٥ بتصرف.

(١١٨) إعجاز سورة الكوثر، ص ٦٠. والجمهور: أي المشهور الواضح الاتصاف بهذه الصفة. والصنبور: من الرجال: الفرد الضعيف الذليل الذي لا أهل له ولا عقب ولا ناصر. والغميصة: اغتمصت فلانا احتقرته. (لسان العرب: مادة: جمهر. صنبر، غمص).

زيد الأبتر يعني هو المختص بهذا الوصف دون غيره ولذا لا يجوز أن نعطف عليه. وقد فصَّل هذه القضية الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز "(١١٩).

وقوله " وأدخل الفصل .. " يقصد ضمير الفصل (هو) وذلك لتأكيد بيان اختصاصه بهذا الوصف دون غيره. وضمير الفصل عند البلاغيين يأتي للفصل بين المبتدأ والخبر، ولا محل له من الإعراب، وهو بذلك يُعَيِّن أنَّ ما بعده خبر لا صفة، والخبر ركن والصفة قيد أو فضلة، والركن أقوى في التأكيد من الصفة، فيكون الكلام قد أكَّد اختصاص شانىء النبي صلى الله عليه وسلم بوصف الأبتر مزيد تأكيد.

فاشتمال الكلام على صيغة قصر، وعلى ضمير فصل، وعلى لفظ الأبتر، مؤذن بأن المقصود به رد كلام صادر من معيَّن، وحكاية لفظ مراد بالرد، ولما كنا قد ذكرنا ضعف أو رد كل الروايات التي حددت افتراءات واتهامات من أشخاص معينين، كالعاص بن وائل وغيره، فإننا نقول: إن هناك اتهامات كانت تصدر من الكفار للرسول ﷺ وربما كان ذلك من إسرار بعضهم مع بعض كما قال الإمام الرازي(١٢٠).ولكن الله تعالى أظهره، فحينئذ يكون ذلك معجزاً، أو أن يكونوا وصفوه ﷺ بأنه الأبتر، أي الأبتر من قومه المقطوع منهم لعدواتهم له، وقد جاء في هذا المعنى روايات حيث قالوا: بُتر محمد؛ أي خالفنا وانقطع عنا فأخبر تعالى أنهم هم المبتورون(١٢١). وهذا المعنى يتناسب مع الحديبية حيث رده قومه ومنعوه من الدخول للبيت الحرام. والحاصل: أن قول الله تعالى يظهر منه بجلاء أنه جاء رداً على اتهامات

---

(١١٩) ينظر: دلائل الإعجاز، مبحث " في القول على فروق في الخبر" ص ١٧٣ وما بعدها، تعليق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، فقد توسع في بيان الفروق الدلالية بين الخبر ومن ذلك تفريقه بين: (زيد منطلق) و (زيد المنطلق) و (وزيد هو المنطلق) و (المنطلق زيد) .

(١٢٠) التفسير الكبير، ج٣٢، ص١٢٤

(١٢١) التفسير الكبير، ج٣٢، ص ١٢٤

وجهت للرسول ﷺ فحصل القصر في قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ وهو قصر قلب، يقلب المعنى الذي أراده المخاطب رأساً على عقب.

سادساً: يظهر في الآية الكريمة (الأسلوب الحكيم): وهو تلقي السامع بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أن الأحق غير ما عناه من كلامه، كقوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾البقرة: ١٨٩[١٢٢].

وبيان ذلك: أنه لما كان وصف الأبتر في الآية جيء به لمحاكاة قول القائل: (محمد أبتر)، إبطالاً لقوله ذاك، وكانوا يقصدون بوصف الأبتر أنه الذي لا عقب له، أو المنقطع من أهله وقبيلته، تعين أن يكون ذلك الإبطال ضرباً من الأسلوب الحكيم، وذلك بصرف مراد القائل عن الأبتر الذي هو عديم الابن الذكَر، أو المنقطع من قومه، إلى ما هو أجدر بالاعتبار وهو الناقص حظ الخير، أي ليس بمنقص للمرء أنه لا ولد له؛ لأن ذلك لا يعود على المرء بنقص في صفاته وخلائقه وعقله، وهب أنه لم يولد له البتة!! وإنما اصطلح الناس على اعتباره نقصاً لرغبتهم في الولد، بناءً على ما كانت عليه أحوالهم الاجتماعية من الاعتماد على الجهود البدنية، فهم يبتغون الولد الذكور رجاء الاستعانة بهم عند الكبر، وذلك أمر قد يعرض وقد لا يعرض، أو لمحبه

---

(١٢٢) سأل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، رسول الله ﷺ: "ما بال الهلال يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يعود كما بدأ؟ كان سؤالهم عن السبب والعلة، لكن القرآن الكريم قال: (قل هي مواقيت للناس والحج)، وهذه الإجابة ليست عن سبب تغير الهلال، إنما هي عن الحكمة منه، فقد سألوا عن العلة والسبب، ولكن القرآن الكريم إجابهم عن الحكمة من تغير الأهلة، وهي أنها مواقيت للناس والحج، سألوا عن شيء، ولكنهم أجيبوا عن شيء آخر، وهذا فيه من الحكمة ما فيه، كأنه يقول لهم: حري بكم أن تسألوا عما يمس واقعكم، ألا ترى أنه قال لهم بعد ذلك: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) وكأن سؤالهم على هذه الشاكلة، كأنه إتيان للبيوت من ظهورها لا من أبوابها. (أنظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع- د. فضل عباس/ ص ٢٨٩).

ذكر المرء بعد موته وذلك أمر وهمي، والنبي ﷺ قد أغناه الله بالقناعة، وأعزه بالتأييد، وقد جعل الله له لسان صدق لم يجعل مثله لأحد من خلقه، فتمحض أن كماله الذاتي إنما هو بما علّمه الله فيه، إذ جعل فيه رسالته، وأن كماله العرضي بأصحابه وأمته إذ جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وما قيل في هذا المعنى يقال في وصف المنقطع عن أهله وقومه(١٢٣).

الخاتمة

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فلقد رأينا من خلال هذا التطواف في هذه السورة العظيمة معالم الإعجاز متجلية في دقة من الإيجاز، ونرى كذلك خصائص أسلوب القرآن الكريم التي ذكرها د. دراز متجلية في هذه السورة أيما تَجَلٍ، فنرى بوضوح:

١- القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى.

٢- خطاب العامة وخطاب الخاصة.

٣- إقناع العقل وإمتاع العاطفة.

٤- البيان والإجمال(١٢٤).

وأختم هنا بقول الإمام الرازي في خاتمة تفسيره لسورة الكوثر حيث قال: "اعلم أن من تأمل في مطالع هذه السورة ومقاطعها عرف أن الفوائد التي ذكرناها بالنسبة إلى ما استأثر الله بعلمه من فوائدها كالقطرة في البحر، روي عن مسليمة أنه عارضها فقال: (إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، إن مبغضك لرجل كافر)، ولم

---

(١٢٣) التحرير والتنوير، ج٣٢، ص ٥٧٧، بتصرف.

(١٢٤) ينظر: د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم/ ص ١٠٩، وما بعدها، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٩٨٨.

يعرف المخذول أنه محروم عن المطلوب لوجوه. أحدها: أن الألفاظ والترتيب مأخوذان من هذه السورة، وهذا لا يكون معارضة. وثانيها: أنا ذكرنا أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها، وكالأصل لما بعدها، فذكر هذه الكلمات وحدها يكون إهمالاً لأكثر لطائف هذه السورة. وثالثها: التفاوت العظيم الذي يقر به من له ذوق سليم بين قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ وبين قوله: (إن مبغضك رجل كافر)، ومن لطائف هذه السورة أنّ كل أحد من الكفار وصف رسول الله ﷺ بوصف آخر، فوصفه بعضهم بأنه لا ولد له، وآخر بأنه لا معين له ولا ناصر له، وثالث بأنه لا يبقى منه ذكر، فالله سبحانه مدحه مدحاً أدخل فيه كل الفضائل، وهو قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ لأنه لما لم يقيد ذلك الكوثر بشيء دون شيء، لا جرم تناول جميع خيرات الدنيا والآخرة"(١٢٥).

ومما قاله الإمام الزمخشري في خاتمة تحليله المقتضب الموجز المكتنز بالمعاني:

" هذه هي أقصر سور القرآن الكريم، رأينا علو مطلعها وتمام مقطعها، ومجاوبة عجزها لصدرها، واتصافها بما هو طراز الأمر كله من مجيئها – مع كونها مشحونه بالنكت الجلائل، مكتنزة بالمحاسن غير القلائل- خالية من تصنع من يتناول التنكيت، وتعمل من يتعاطى بمحاجته التبكيت، كأنها كلام من يرمي به على عواهنه، ولا يتعمد إلى إبلاغ نكته ومحاسنه، ولا يلقاك ذلك إلا في كلام رب العالمين، ومدبر الكلام والمتكلمين.

فسبحان من لو أنزل هذه الواحدة وحدها، ولم ينزل ما قبلها وما بعدها، لكفى بها آية تغمر الأذهان، ومعجزة توجب الإذعان، فكيف بما أنزل من السبع الطوال، وما وراءها إلى المُفَصَّل، والمُفصَّل، يا لها من معجزة كم معجزات في طيها،

---

(١٢٥) التفسير الكبير ج٣٢، ص١٢٦

عند كل ثلاث آيات تقر الألسن بعيها، لو أراد الثقلان تسلية المغيظ المحنق، لأخذت من أفاصحهم بالمخنق، إن هَمُّوا بإنشاء سورة توازيها، وثلاث آيات تدانيها، هيهات، قبل ذلك يشيب الغراب، ويسيب الماء كالسراب "(١٢٦).

وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليه.

والحمد لله أولاً وآخراً

المراجع

[١] ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[٢] أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.

[٣] الأزهري، نادي بن محمود، الدخيل من أسباب التنزيل، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

[٤] الآلوسي: شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر، دط، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

[٥] الآلوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، ط٢.

[٦] البخاري: محمد بن إسماعيل، *الجامع الصحيح، المسند المختصر من أحاديث رسول الله وسننه وأيامه*، دار الأرقم – بيروت.

---

(١٢٦) إعجاز سورة الكوثر، ص ٦٠، ٦١

[٧] البقاعي، برهان الدين، *نظم الدرر في التناسب بين الآيات والسور*، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

[٨] البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، *السنن الكبرى* ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار ابن باز - مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

[٩] الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، *الجامع الصحيح سنن الترمذي* ، تحقيق : أحمد شاكر والألباني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

[١٠] الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تعليق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٤١٣ه – ١٩٩٢م،

[١١] ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر* ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ه – ١٩٩٨م).

[١٢] الجمل، سليمان العجيلي الشهير، *الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل على الجلالين)*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

[١٣] الجوهري، إسماعيل بن حماد، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.

[١٤] ابن أبي حاتم الرازي ، *تفسير ابن أبي حاتم* ، تحقيق : أسعد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا .

[١٥] الحاكم النيسابوري ، *المستدرك على الصحيحين* ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط- ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

[١٦] ابن حجر العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة*، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

[١٧] ابن حجر العسقلاني ، *دار المعرفة* ، بيروت ، د ط ، ١٣٧٩ هـ.

[١٨] حكمت بشير، *موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور*، ط١ ، ١٩٩٩م ، دار.

[١٩] أبو حيان الأندلسي ، *البحر المحيط* ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٣م.

[٢٠] الخازن ، علاء الدين علي بن محمد ، *تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)* ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥ .

[٢١] الخفاجي ، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين ، *حَاشِيَةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (عِنَايَةُ القَاضِى وكِفَايَةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي)* ، دار صادر ، بيروت .

[٢٢] الداني ، أبو عمرو ، *البيان في عَدِّ آي القرآن* ، تحقيق : غانم قدوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث - الكويت ، ط١ ، - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

[٢٣] دراز ، محمد عبد الله ، *النبأ العظيم* ، دار القلم ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨ .

[٢٤] الرازي : فخر الدين ، *نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز* ، تحقيق : د. إبراهيم السامرائي ، و د. محمد بركات أبو علي ، دار الفكر ، عمّان ، ١٩٨٥م.

[٢٥] ــــــــ ، *مفاتيح الغيب* ، دارالكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٦م.

[٢٦] *الراغب الأصفهاني* ، الحسين بن محمد ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، دط ، دت.

[٢٧] ابن الزبير الثقفي ، *البرهان في تناسب سور القرآن* ، جامعة الإمام ، تحقيق سعيد الفلاح ، سنة ١٩٨٨.

[٢٨] الزركشي : *البرهان في علوم القرآن* ، دار الفكر – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

[٢٩] الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٠.

[٣٠] الزمخشري: محمود بن عمر، *إعجاز سورة الكوثر*، تحقيق حامد الخفاف، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

[٣١] ـــــــــ، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

[٣٢] ـــــــــ، *أساس البلاغة*، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

[٣٣] أبو السعود: محمد بن محمد العمادي: *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

[٣٤] السمين الحلبي، *الدر المصون*، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

[٣٥] السيوطي، جلال الدين، *الاتقان في علوم القرآن*، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

[٣٦] *الإتقان*، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

[٣٧] ـــــــــ *تناسق الدرر في تناسب السور*، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦م.

[٣٨] الشيخ زاده: *حاشية الشيخ زاده على البيضاوي*، . دار إحياء التراث العربي، د ت، دط.

[٣٩] الشيرازي: نصر بن علي، *الموضح في وجوه القراءات وعللها*، تحقيق عمر الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن – جدة، ط١، ١٩٩٣م.

[٤٠] الصابوني، محمد علي، *صفوة التفاسير*، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

[٤١] الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

[٤٢] ـــــــ *جامع البيان*، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

[٤٣] ابن عاشور، الطاهر محمد: *التحرير والتنوير*، دار الكتب التونسية، ط١، ١٩٧٠م.

[٤٤] عبد الفتاح القاضي: *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٩٩٨م.

[٤٥] عبد القادر حسين، *تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز*، للرازي، دار الأوزاعي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

[٤٦] ابن عطيه، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

[٤٧] العلوي، يحيى بن حمزة، *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٤٨] الغماري، محمد صديق، جواهر *البيان في تناسب سورة القرآن*، مكتبة القاهرة.

[٤٩] فضل عباس، *إتقان البرهان في علوم القرآن*، دار الفرقان، عمان، ط١/ ١٩٩٧،.

[٥٠] ـــــــ *إعجاز القرآن الكريم*، دار الفرقان، الأردن، عمّان، ط٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

[٥١] ـــــــ *البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)* دار الفرقان، عمان ط٣، ١٩٩٨م.

[٥٢] القرطبي، محمد بن أحمد، *الجامع لأحكام القرآن*، دار الفكر، بيروت، دط، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

[٥٣] قطب، سيد، *في ظلال القرآن*، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

[٥٤] محمد عبد الله دراز، *النبأ العظيم*، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

[٥٥] محمد عبده، *تفسير جزء عم*، دار ابن زيدون، بيروت، ط٢، ١٩٨٩.

[٥٦] مسلم بن الحجاج النيسابوري، *الجامع الصحيح (صحيح مسلم)*، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، دط، دت.

[٥٧] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، *لسان العرب*، دار الفكر ودار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

[٥٨] الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، *مجمع الأمثال*، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٣هـ.

[٥٩] النسائي، *السنن الكبرى*، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٦٠] الواحدي: أبو الحسن/ *أسباب النزول*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠.

Surat Al-Kawthar Analytical Study Objective

Mohammad bin Ahmad Al-Jamal
Assistant Professor. college of sharia and Islamic stadies, University of Yarmouk

(Received 22/11/1431H; accepted for publication 2/4/1432H)

Abstract. Surat Al- -Kawther is the shortest one in God book (Holy Quran), God Allah had challenged the world to bring a same sura even like the shortest one. Some scientists studied this sura intended to discover the incapacitation the secrets in it like: the Imam Al-Zamakhshari.

This research present a complete study to this great sura concentrating on the analysis side to it's enunciates, meanings, organization and synthetic. To be an application study to show the declaration incapacitation in a perfect picture in the Holy Quran with the shortest sura and to an reviewer to the learners to give a complete application project to the analysis explanation form.